مظاهر العنف ضد المرأة والنظريات المفسرة له في المجتمع الليبي

مقاربة نفس-اجتماعية

أ. د عثمان علي أميمن•
د. نعيمة المهدي أبو شاقور ••

المقدمة

عرفت البشرية كافة أشكال العنف، ويلحظ أن ظاهرة العنف في تصاعدٍ مستمر ولا سيما في هذا العصر، عصر العولمة الذي يتميز بندرة الموارد وشدة الصراع من أجل تحقيق الأهداف المختلفة، وتباين الرؤى والأهداف والثقافات، واحتدام الصراع بين المرأة والرجل على اعتبار أن المرأة اليوم دخلت سوق العمل وغدت منافسة شرسة للرجل. كما يلحظ أن وسائل الإعلام تعرض تلك البرامج التي تزين العنف وتظهره على أنه جزء من الحياة، وأن المعتدي يُثاب على عدوانيته، فضلاً عن أن هذه البرامج تظهر المرأة بصورة ماجنة ومذلة وغاوية، وباحثة عن اللذة، وضعيفة الإرادة، وأنها أداة يسقط الرجل عليها عنفه وبطشه، وأنها اقل مكانة من الذكر، وأنه لا يجب التجاوز عن زلاتها، ما جعلها تتعرض لكافة صنوف الذل والمهانة ولا سيما في تلك الثقافات الذكرية التي تعلي من شأن الذكر وتبخس من شأن الأنثى كما هو الحال في المجتمع العربي.

وللعنفعدة مظاهر ومن بينها: المعاملة الخشنة، والمتمثلة في استعمال القوة الجسدية على الآخرين وبوجه خاص بطريقة غير مشروعة بهدف جرحهم، أو إيذائهم، وهو إفساد أو ممارسة التأثير الضار على الآخرين، وهو لوي الحقائق والمعاني بهدف التدمير. وتتعرض البيئة الطبيعية للعنف، كما تتعرض المرأة أيضاً للعنف الذكري؛ حيث تتعرض للضرب والدفع والركل وشد الشعر والتهديد بالسكين أو بالسلاح الناري أو الحرق أو الإهانة، أو الاحتقار والتحكم في تصرفاتها والتحكم في حديثها، أو التدخل في شئونها الخاصة، أو عملها وقلة احترامها وما إلى ذلك.

وتؤك د أدلة كثيرة على أن المرأة تتعرض لعنف الرجل في كل مكان في العالم؛ ففي أمريكا مثلاً تبين أنه من 25 – 50% من النساء المتزوجات الأمريكيات تعرضن لخبرة فيها إساءة. وفي مصر تبين أن 24.6% من الأزواج يسبون زوجاتهم كثيراً وأن 29.6% من الأزواج يضربون زوجاتهم ضرباً بسيطاً

• أستاذ – جامعة المرقب
•• أستاذ مشارك – جامعة طرابلس

كالصفع والركل والدفع، وأن 26.3% من الأزواج يوجهون عنفاً شديدا لزوجاتهم كاللكم والضرب بآلة حادة أو بسلاح ناري. تتعرض المرأة بشكل عام لكافة أنواع إساءة الرجل مثل حرمانها من حقوقها السياسية كالتصويت وللتحرش الجنسي في المدارس والمستشفيات ودور الإيواء. كما تتعرض للاغتصاب والإهانة النفسية.

وتتعرض النساء في أيام الحرب للاغتصاب والضرب والجرح وتحطيم العظام، كما أن الحرب تجعل بعض الأزواج يسيئون لزوجاتهم، وذلك لأن الحرب توحش الرجال. فبعد انتهاء الحرب في يوغسلافيا لم تسلم حتى الأمهات والأخوات من التحرش الجنسي من قبل الأخوة والأبناء، وتكثر في روسيا الاعتداءات الجنسية على النساء وخاصة المراهقات، كما يتعرضن للقتل والضرب واستغلال المرأة في البغاء وفي الأعمال المنافية للأخلاق، لا بل هناك عصابات دولية تستغل البنات الروسيات في أعمال الدعارة في أوروبا وفي شتى بلاد العالم وخاصة النساء ذوات الدخل والمستوى الاقتصادي والاجتماعي المنخفض، كما يتم استغلال بعض النساء في تصوير بعض الصور الجنسية وبيعها للمراهقين. يرتبط العنف المسلط تجاه المرأة ببعض ألوان الثقافات المتوارثة؛ فبعض الثقافات يحث المرأة على تحمل عنف وجور الرجل. وفي إيطاليا هناك مثل مؤداه: أن المرأة الجيدة والمرأة السيئة يحتاجان للسوط شأنهما في ذلك شأن الحصان الجيد والحصان السيئ. ويقولون في اليابان: اضرب زوجتك ليلة الزفاف تصبح حياتك الزوجية سعيدة. ويقال في مصر اكسر للبنت ضلع يطلع لها أربعة وعشرون. لقد كانت المرأة في معظم الثقافات أقل منزلة من الرجل؛ فهي مجرد جسد بلا حقوق، وكانت تحرم من الميراث، وفي الصين أفادت إحدى سيدات الطبقة العليا بعبارة مؤداها: نشغل نحن النساء آخر مكان في الجنس البشري، ويجب أن يكون من نصيبنا أحقر الأعمال.

وفي اليابان تلقن المرأة على وجوب الطاعة لوالدها قبل الزواج والطاعة لزوجها بعد الزواج، والطاعة لابنها الأكبر بعد موت زوجها، وهي بذلك تشب على أنها أقل شأناً من الرجل، حيث تتعرض المرأة للعنف من قبل الرجل، ويتخذ هذا العنف شكل الضرب والتوبيخ والتمييز في المعاملة والاحتقار والتصرف ضد الإرادة، والتحرش الجنسي، والقتل والاغتصاب الجنسي، والحرمان من الحقوق، والاستغلال في أغراض مشينة. وتعد مشكلة العنف الجنسي الموجه ضد المرأة من خلال هتك العرض والاغتصاب إحدى المشكلات الاجتماعية التي تعاني منها العديد من الدول خاصة المتقدمة التي تمثل مراكز الثقافة الرأسمالية. إذ تتمتع تلك الدول بحرية جنسية إلى حد كبير، ولكنها حرية لم تحمها من مواجهة العديد من المشكلات التي تأتي في مقدمتها مشكلة الاغتصاب (عبد الحميد وآخرون ، 2000: 191).

وقد أكدت نتائج دراسة أمبيريقية أن الزوجات أكثر أفراد الأسرة تعرضاً للعنف العائلي. حيث جاءت النسبة الخاصة بالزوجة أعلى النسب المئوية وهي 53.8% من بين الضحايا (التير، 1997: 60)، كما

تؤكد الإحصاءات على انتشار ظاهرة الاغتصاب الجنسي للإناث في جميع دول العالم. ففي أمريكا مثلاً بلغت زيادة نسبة جرائم الاغتصاب في عام 1980، 78% مقارنة بما كانت عليه عام 1971. وكان الاغتصاب يتم بالقوة. وفي عام 1983 بلغت جرائم الاغتصاب 33.73 جريمة لكل مائة ألف من السكان. وفي عام 1987 بلغ معدل جرائم الاغتصاب 37.4 لكل مائة ألف من السكان، وفي "ويلز" بلغ معدل الاغتصاب 4.9 لكل مائة ألف من السكان. وفي اسكتلندا بلغ معدل الاغتصاب في عام 1988 8.9 لكل مائة ألف من السكان. وفي فرنسا بلغ معدل الاغتصاب 6.77% لكل مائة ألف من السكان في عام 1988.

وفي ألمانيا بلغ المعدل 8.6 عام 1988 لكل مائة ألف من السكان. وفي السويد بلغ المعدل 13.2 عام 1987 رغم أن السويد تمنح أقصى قدر من الحرية الجنسية. وهو أعلى معدل بعد أمريكا. وفي الدنمرك ترتفع معدلات جرائم اغتصاب النساء. فقد وصلت إلى 11.23 عام 1988. وفي النرويج بلغ معدل جرائم الاغتصاب 7.87 عام 1988. أما في اليابان فقد بلغ معدل الاغتصاب 1.4 عام 1988(المجذوب ، 1996: 67 ، 73).

الإطار النظري للبحث:

تتعدد معاني العنف؛ فهناك العنف المنزلي، والعنف الاجتماعي والعنف السياسي، والعنف الاقتصادي، والعنف الديني، والعنف المدرسي وما إلى ذلك. ولكن العنف ومهما تباينت أشكاله وألوانه، فإنه عبارة عن محاولة تسلط متزايدة يفرض أحدهم ومن خلال موقع إحساسه بقوته مراقبة على شخص آخر، وضبط سلوكه ووجدانه مستخدماً وسائل ضغط متنوعة بهدف وضعه في حالة دونية، وإجباره على تبني مواقف وسلوكات قد تتطابق أو لا تتطابق مع التوجهات والرغبات الخاصة للضحية. ولقد عرفت الأمم المتحدة العنف بأنه "اعتداء جسدي أو معنوي مقصود من جهة تتمتع بسلطة مادية أو معنوية على جهة أخرى". وقد تكون هذه الجهة فرداً، أو جماعة أو طبقة اجتماعية، أو دولة تحاول إخضاع طرف آخر في إطار علاقة قوة غير متكافئة اقتصادياً، أو اجتماعياً أو سياسياً ما يتسبب في إحداث أضرار مادية، أو نفسية، أو معنوية للفرد، أو جماعة، أو طبقة اجتماعية، أو دولة أخرى" (مكي، عجم، 2008: 41).

ويعرف الباحثان العنف ضد المرأة بأنه "كافة أشكال العنف التي توجه للمرأة مثل الضرب والنعت بألفاظ محقرة ومذلة له، ومضايقتها والتحرش بها في الفضاءات العامة، وحرمانها من حقوقها الاجتماعية والصحية والسياسية والاجتماعية والمدنية والشرعية، وسلبها مدخراتها ومقدراتها المالية، وتزويجها في سن مبكرة، وإجبارها على ممارسة سلوكات ضد إرادتها، وإذلالها وإشعارها بالدونية، وإرهاق جسدها بكثرة

الولادة، ومطالبتها بأداء أعمال فوق طاقتها، وحرمانها من الأمومة، ومن إشـــباع حاجتها للحب والحنان، وحرمانها من العمل ومن ممارسة إبداعاتها المختلفة، والتحيز الثقافي للذكر".

مظاهر العنف ضد المرأة:

فيما يلي عرض لبعض مظاهر العنف الذي تتعرض له المرأة، ومن بين هذه الأشكال:

1) العنف الصحي:

ويتمثل في حرمان المرأة من الظروف الصـــحية المناســـبة وعدم الحرص على صـــحتها الإنجابية، وعدم مراعاة قدرتها على الحمل والإنجاب، وحرمانها من المراجعة أثناء الحمل ومن الرعاية الصـــحية والطبية والغذائية المناســـبة أثناء الحمل، وحرمانها من نيل التطعيمات الضـــرورية والتغذية الجيدة للزوجة الحامل والمباعدة بين الأحمال، أي تنظيم أوقات الحمل، وتحديد عدد المواليد حســب وضـــعها الصـــحي، ويعتبر إنجاب عدد كبير من الأبناء أحد أسباب وفيات النساء في وقت مبكر أو متأخر، ولذلك فإن السن المفضلة للإنجاب هي بين 18 – 35 سنة، كما يمارس العنف الصـحي ضـد المرأة من خلال منعها من استخدام وسائل منع الحمل، وتعرضـها للضـرب وهي حامل. وكشـفت دراسـة امبيريقية ليبية أن 23.2% من الزوجات لا ينقلهن أزواجهن للمسـتشـفى عندما يمرضـن، وبين 18% منهن أن أزواجهن لا يشـترون لهن الدواء الذي يصفه لهن الطبيب (المركز، 2012: 89).

2) العنف اللفظي والنفسي:

ويقصـد به أي سلوك إيذائي موجه بشكل مباشر أو غير مباشر للتأثير في الجوانب النفسية ويظهر على شـكل تحقير الآخرين أو إهمالهم متخذاً صـوراً متعددة كالتشـبيه بالحيوانات أو الغباء أو غيرها من الصـور التي تترك آثاراً نفسية لدى الفرد (المصري، محمد، 2014: 27-28)، يتخذ العنف اللفظي ضد المرأة شـــتم الزوج لزوجته وإحراجها أمام الآخرين ونعتها بألفاظ بذيئة وعدم تقديرها وإهمالها، وإبداء الإعجاب بالأخريات في حضـورها والسـخرية منها، وعدم تقدير ذاتها وإحراجها ومعاملتها كخادمة وتوجيه اللوم لها، واتهامها بالسوء وإساءة الظن بها وتخويفها وإشعارها بالذنب. وتشير إحصاءات فرنسية إلى أن امرأة واحدة من أصـل كل خمس نسـاء تتعرض لضـغوط أو عنف جسـدي أو كلامي في الأماكن العامة. وبين 52% من النساء الفلسطينيات أنهن تعرضن للاهانة والسباب واللغة البذيئة وتسميتهن بأسماء مهينة من قبل أزواجهن مرة واحدة على الأقل خلال العام السابق (القاطرجي، 2006: 370).

كما يتمثل العنف اللفظي ضـد المرأة في إسـماعها الكلمات الجارحة، والكلام الخشـن، واللوم والعتاب الجارح الذي يحط من مكانتها في المجتمع، وقد يوجه لها بمفردها أو أمام المجتمع إلى درجة أنه يخدش سمعتها، ويضر بكرامتها، ويكسر معنوياتها وهيبتها أمام المجتمع(الحسن، 2008: 161). وكشفت دراسة

ليبية أن 35.8% من الزوجات يسمعهن أزواجهن كلاماً جارحاً يغضبهن، وبين 30% منهن أن أزواجهن يصرخون في وجوههن أمام أفراد الأسرة(المركز، 2012: 87).

3) التهديد:

يتخذ التهديد شكل العنف اللفظي من حيث استخدامه، بيد أن مضمونه مختلف؛ حيث يستخدم الزوج الحقوق الاجتماعية أو القانونية والدينية التي منحت له بوصفه زوجاً في عملية التخويف وتهديد أمن الزوجة واستقرارها للانصياع لرغباته والتهديد لا يقل عن العنف؛ لأن التهديد بالشيء يعني وقوعه نفسياً، فعملية تهديد الزوجة بالطلاق يعني إحساسها بالطلاق في كل مرة تهدد به، ومن أمثلة التهديد: تهديد المرأة بالزواج من امرأة ثانية أو طردها من البيت، أو تهديدها بالضرب، أو بالهجر أو ترك البيت، وحرمانها من المصروف والشكوى لأهلها وحرمانها من الأولاد.

4) العنف الاجتماعي:

يتمثل العنف الاجتماعي في فرض حصار اجتماعي على الأنثى وتضييق الخناق على فرص تواصلها وتفاعلها مع العالم الاجتماعي الخارجي، وهو أيضا محاولة الحد من انخراطها في المجتمع وممارستها لأدوارها: تقييد الحركة، التدخل في الشئون الخاصة، تحديد أدوارها، عدم السماح لها بزيارة الصديقات، والأهل، عدم السماح لها باتخاذ القرارات، عدم الاستماع لها أمام الآخرين، عدم دعم أهدافها في الحياة. ويندرج تحت هذا العنف: عدم إتاحة فرصة العمل للمرأة وانخفاض نسبة مساهمتها في قوة العمل، وعدم توفير البدائل لممارسة دورها كأم وكربة بيت، ونشر الأمية بين النساء وتدني نسبة الملتحقات بالتعليم العالي، وسوء التعدية واعتلال الصحة، والنقص الموجود في الخدمات الصحية في حسابها الوقائي، وعدم إتاحة الفرص أمام المرأة لكي تحرك جماهير النساء وللقيام بحركة اجتماعية حقيقية تغير جذريا الدور الذي تلعبه، ولتحررها من الخوف والتبعية المطلقة للمعتقدات الموروثة لمفهومها المشوش، وتحجيم قدراتها وإبعادها عن المشاركة في صنع المستقبل، واغتصابها والإساءة الجنسية إليها، والتحرش والترهيب الجنسيين في العمل وفي المؤسسات التعليمية وسواها والاتجار بالمرأة والبغاء القسري (القاطرجي، 2006: 374-375).

من مظاهر العنف الاجتماعي ضد المرأة: حرمان الزوجة من فرص التقدم من خلال التعليم أو العمل، ومن زيارة الأهل أو الأقارب أو الأصدقاء والجيران، وخنق الحرية الشخصية في اختيار الصديقات واختيار ألوان الملابس، وحق التعبير عن الرأي المتعلق بحياة الأسرة وشؤونها، وبذل كل جهد ممكن للحيلولة دون خروجها من البيت، وتنغيص كل لحظة سعادة أو فرح شعرت بها عند ابتعادها عن البيت عند الرجوع إليه، من خلال العنف غير اللفظي كعبوس الوجه، وتصويب النظرات النارية من العينين،

والتزام الصمت المطبق تجاهها، واعتبار الزوجة أنها متى دخلت بيت الزوجية، فإنها لن تخرج منه إلا إلى الدار الأبدية (بحري وقطيشات، 2011: 50-51)، وتؤكد أدلة امبيريقية على أن المرأة تتعرض للعنف المؤسسي والاجتماعي؛ فقد أشارت إحدى الدراسات الميدانية إلى أن 66% من الفتيات يتعرضن للعنف في أماكن عملهن. ويأخذ العنف في مجال العمل عادة طابعاً جنسياً ويتراوح ذلك ما بين العاكسات بالكلام والألفاظ ذات المعاني الجنسية (30%)، والتحرش باللمس (17%)، والغزل غير المقبول (20%)(أبو زيد، 2008: 166)،حيث بينت دراسة امبيريقية ليبية أن 34.8% الزوجات يوافقن على تدني رؤية المجتمع للمرأة في كثير من الأحيان، وأن 27.6% من أزواجهن يرسخون أحياناً تلك القيم والمعايير الاجتماعية التي تمجد الرجل، (المركز، 2012: 97).

5) العنف الجسدي:

يأخذ بالعنف الجسدي شكل استخدام الأيدي والأرجل أو أي أداة تترك آثاراً واضحة على جسم الإنسان، كما يأخذ صوراً متعددة كالدفع والهز بعنف أو الضرب (المصري، محمد، 2014: 28)، ويعرف العنف الجسدي بأنه "كل اعتداء جسدي على المرأة يتمثل في الصفع أو الركل أو اللكم أو الدفع أو الرمي أرضاً أو شد الشعر أو الحرق أو الخنق أو الضرب بأداة حادة أو إشهار السلاح في وجهها"(بحري وقطيشات، 2011: 47)، و يعد العنف الجسدي تجاه المرأة أكثر أنواع العنف وضوحاً، وهو يتم باستعمال الأيدي أو الأرجل أو أي أداة تتسبب في حدوث آثار واضحة على جسد المعتدى عليها. ويسبق فعل الضرب عادة جدال عنيف بين الزوجين. ثم يمتد هذا الجدال ويتحول إلى صراع، ثم شتم ويتطور إلى ضرب.

ومن أشكال العنف الجسدي: الصفع والدفع والركل واللكم وشد الشعر والرمي أرضاً، والعض والخنق والضرب بأداة حادة والقتل. يأخذ العنف الجسدي شكل ضرب الضحية بالأيدي والأرجل وتوجيه اللكمات لوجهها ورأسها وكافة جسدها، أو شد شعرها، وقد تستخدم الآلات الحادة ضدها، أو تكسير أدوات المنزل وقذفها عليها. لا بل وقد يتطور العنف الجسدي ضد المرأة إلى تكسير وتشويه أعضائها، مثل كسر يدها أو ذراعها، أو تشويه جسدها بماء النار، أو حرقه بالسجائر المشتعلة. وكافة أشكال العنف الجسدي والنفسي ضد المرأة لا تمر دون أن تترك آثاراً سلبية عليها مثل الشعور بالحزن والاكتئاب والدونية والقلق والاغتراب.

يعد الضرب العنيف ضد المرأة حادثاً صدمياًTraumatic event، ولذلك فهي تحرص كثيراً على تفاديه. وتأخذ الإساءة الجسمية للمرأة شكل الضرب والقذف بالأشياء على الزوجة ودفعها بعنف وتهديدها بالسلاح والحرق والخنق ويترتب عن هذه الإساءة البدنية عدة أعراض مثل: الكدمات، الحروق، الجروح، كسر العظام، تمزق الأنسجة، ارتجاج المخ، الإجهاض، فقد جزئي للسمع والبصر، هالات سوداء حول

العينين، التأثير على الأعضاء الداخلية مثل الرحم والكبد والطحال. وتشير الإحصاءات إلى أن حوالي 21% من السيدات قد تلقين خدمة طبية من خدمات الجراحة والطوارئ في المستشفيات بعد الشجار مع الزوج وتعرضهن للضرب (بركو، 2009: 198-199)، وأوضحت دراسة ليبية أن 18.4% من الزوجات يتعرضن للوي أذرعهن من قبل أزواجهن عندما يتناقشن معهم في أمر ما، وبين 13.56% من الزوجات يتعرضن لضرب أزواجهن لأبسط الأسباب، وبين 14% منهن أن أزواجهن يضربونهن بأي شيء قريب منهم، وأن ممتلكات 13.6% منهن الشخصية تتعرض للتكسير والتخريب من قبل أزواجهن (المركز، 2012: 88-89).

6) العنف الجنسي:

العنف الجنسي شكل من أشكال العنف الذي يتعرض له الشخص ويتمثل في اعتداء يعبر عنه في شكل سلوكيات وتصرفات واضحة مباشرة أو ضمنية إيحائية، تحمل مضامين جنسية تصدر من شخص يستغل نفوذه لتلبية رغبة جنسية من شخص يرفض الاستجابة لهذه الرغبة. "ويعرف العنف الجنسي بأنه كل فعل أو قول مقصود مباشر وغير مباشر يوجه للشخص من قبل المحيطين به في أسرته أو خارجها، وقد يكون متزامناً مع أنواع أخرى من العنف الجسدي أو النفسي، وهو يشمل: الاعتداء الجنسي، محاولة التحرش، التحرش بألفاظ ذات مضمون جنسي، استخدام أساليب جنسية شاذة مع الفرد(إيهاب، محمد، 2014)، وثمة من يعتدي على المرأة جنسياً ويغتصب كرامتها عنوة؛ حيث يقوم باغتصابها جنسياً. والاغتصاب عبارة عن "مواقعة شخص مع شخص آخر دون رضاه عبر التهديد والعنف واستخدام وسائل لشل حركته... ويعني الاغتصاب من المنظور النفسي أخذ الشيء قهراً أو ظلماً، وعليه فالاغتصاب هو فعل عنيف يتصف بانقضاض الأقوى على الأضعف، هو أكراه الضعيف على الامتثال عنوة لقهر الضحية وظلمها جسدياً ونفسياً ومعنوياً نظراً للاضطرابات التي سيولدها عند الضحية" (مكي، وعجم، 2008: 114).

وتؤكد أدلة امبيريقية على "أن جرائم الاغتصاب وهتك العرض المبلغ عنها لا تمثل سوى نسبة ضئيلة مما يقع بالفعل. فعلى سبيل المثال في الولايات المتحدة تم إبلاغ البوليس عن (78430) حالة اغتصاب عام 1985، ويقدر الخبراء أن هذا الرقم لا يمثل سوى جزء ضئيل يتراوح ما بين 25 إلى 50% من إجمالي حالات الاغتصاب التي حدثت بالفعل. وقد أكد باحث أمريكي من خلال تحليله للمسوح القومية للجريمة أن ما يقرب من 20 إلى 30% من الفتيات الأمريكيات اللاتي في سن الثانية عشرة سوف يتعرضن لاعتداء جنسي عنيف في السنوات التالية من حياتهن. وفي دراسة على النساء من كافة الأعمار في مدينة سان فرانسيسكو كشفت "ديانا" و"نانسي" عن تعرض 26% من النساء للاغتصاب، و46% من النساء كن ضحايا للاغتصاب أو لمحاولة اغتصاب. وتذهب أكثر التقديرات

تحفظاً إلى تعرض امرأة من بين كل عشرة نساء للاغتصاب، وفي لندن يعد الاغتصاب أكثر انتشاراً حيث تتعرض امرأة من بين ثلاث نساء للاعتداء الجنسي. وكشفت دراسة "كوس" و "أوروس" المسحية بين طالبات الجامعة عن تعرض 6% منهن للاغتصاب، وأن 20% قد مارسن الجنس دون رغبتهن وتحت تأثير ضغط من الطرف الآخر، وأن 30% منهن ذكرن أن الرجل قد أجبرهن عند التقبيل.

وتشير إحدى الدراسات إلى أنه منذ عام 1975 وحتى 1980 كانت نسبة الزيادة في عدد جرائم الاغتصاب"(الجوهري وآخرون، 1995: 281-282) ، ويذهب البعض إلى أن الاغتصاب يشمل حتى مواقعة الزوجة بدون رضاها. من مظاهر العنف الجنسي: سوء معاملة الزوجة جنسياً والنظر إليها على أساس أنها مصدر للمتعة، وعدم مراعاة رغبتها الجنسية، وإجبارها بالإكراه على ممارسة الجنس، واستخدام الوسائل المنحرفة لبلوغ اللذة الجنسية، وذم أسلوبها الجنسي لإذلالها وتحقير شأنها (العواودة، 2002: 28 – 31).

يشكل العنف الجنسي خطراً كبيراً على نفسية المرأة، لأنه يطال كرامتها ويجرح كبرياءها، ويمثل لها تجربة مرة يصعب عليها تجاوزها. ومن أشكال العنف الجنسي الذي تتعرض له المرأة: التحرش الجنسي وأسماعها الكلمات الجنسية الخادشة للحياء وكشف الرجل أعضاءه الجنسية أمامها ونعتها بألفاظ مثل " ساقطة، حقيرة، كلبة الخ..." والخطف والاغتصاب وسفاح المحارم، وهتك العرض وإرغامها على الدعارة بغية الاتجار بها، والمجامعة بأشكال شاذة. ويسمع المرء عن تورط بعض الفتيات في ممارسات جنسية بخلاف الطبيعة مع ذكور وهن آنسات. تحدث كل أشكال العنف الجنسي ضد المرأة وفي وقت لا تنصفها فيه بعض القوانين إن اشتكت. ففي بعض المجتمعات العربية تعاقب المرأة الزانية بضعف عقوبة الرجل ولا يعاقب الرجل الزاني إلا إذا مارس الزنا في بيت الزوجية أو اتخذ له خليلة جهراً، فضلا على أن الرجل يعفى من العقوبة إن قتل زوجته إذا ضبطها بالزنا أو في حالة الخلوة مع رجل وبوضع مريب، وهو يستفيد من العذر المخفف لمجرد الشك والريبة (مكي، وعجم، 2008 :93) وتؤكد إحصاءات رسمية على تعرض فتيات قاصرات وزوجات للاغتصاب بالقوة في لبنان؛ ففي عام 1991 سجلت (235) شكوى لفتيات قاصرات تعرضن للاغتصاب، وتعرضت (1711) امرأة متزوجة للاغتصاب أيضا. وتعرضت في عام 1944 (2421) فتاة قاصرة وتعرضت (3136) امرأة متزوجة للاغتصاب (شكور، 1997: 122).

هذا ولا يتوقف الاعتداء على شرف الأنثى من قبل الآخرين فحسب بل ثمة حالات تؤكد تورط الآباء والأمهات في دفع بناتهم إلى ممارسة الرذيلة. ففي لبنان مثلاً دفع الزوجان بابنتهما البالغة من العمر حوالي الخمس عشرة سنة إلى الرذيلة كسباً للمال، لا بل والأسوأ من ذلك أن الأب وبمساعدة زوجته مارس الجنس مع أبنته خلافاً للطبيعة مرات عدة، وبعدها غدا يدفع بها للزبائن الرجال لممارسة الفعل ذاته معها، كما كان يسهل الدعارة السرية لزوجته التي قبلت بدورها ذلك كسباً للمال أيضاً (شكور، 1998:

104)، وفي العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة يقع الغرم دائماً على المرأة. فالمرأة هي المذنبة أبداً: فهي مذنبة أن استسلمت للإغراء قبل الزواج ومذنبة أن هي حرمت المتعة برفقة زوجها، نظراً لما تعرض له جسدها من قمع، ومذنبة أن هي لم تنجب، ومذنبة أن لم تنجب الذكور. والمرأة النابغة تتهم بأنها مسترجلة، تعاني المرأة صراعاً مريراً بين أن تكون سيدة نفسها وبين أن تكون تابعة للرجل ومتمتعة بالأمان والاستقرار، وهي في ثورتها ضد التسلط والقهر ترفض كل رموز الماضي، وكل وظائف دورها التقليدي، ترفض خصوصاً دور المرأة الخادم، المستلب اقتصادياً، ودور آلة التفريخ والمتعة، تثور في صورة الأنثى التي تراها في أمها.

وقد تشتط في هذه الرفض كي تصل حد رفض الأنوثة بمجملها، من خلال التنكر لجسدها وخصائصه البيولوجية وحاجاته. ترى المرأة أمامها الرجل كنموذج للتحرر والانطلاق فتحاول تقليده وأن تكون نسخة منه. وهي في كل ذلك تستلب ذاتها لا محالة، إنها تخسر أنوثتها دون أن تربح الرجولة. والمرأة قد تفرط في الأنوثة فتلعب دور الغاوية، وقد تتنكر لأنوثتها فتمارس أنشطة ذكورية (حجازي، 1989).

7) العنف الأسري:

يشير مصطلح العنف الأسري إلى أنماط السلوك المختلفة التي توجه من قبل أحد أفراد الأسرة إلى فرد آخر داخلها بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وذلك بهدف إيقاع أشكال متعددة من الأذى النفسي أو اللفظي أو الجسدي أو الجنسي. ويعرف العنف الأسري بأنه" الاستعمال المتعمد للقوة سواء أكان ذلك بالتهديد أو الاستعمال المادي ضد الذات أو ضد شخص آخر أو مجموعة بحيث يؤدي إلى حدوث إصابة أو موت أو سوء نمو أو حرمان. ومن هنا فإن العنف هو أي اعتداء ضد الآخرين يتسبب أو قد يتسبب في إحداث إيذاء أو ألم جسدي أو نفسي و التهديد بالاعتداء أو الضغط أو الحرمان التعسفي للحريات وللحقوق" (بحري وقطيشات، 2011: 38-39) .

ومن مظاهر العنف الأسري الزواج المبكر للفتاة على اعتبار أن أكراه الفتاة على الزواج يحرمها من حقوقها في التعليم، ويحملها أعباء نفسية واجتماعية، وصحية، ويصيبها أو يحتمل أن يصيبها بسببه ضرر نفسي أو صحي أو جنسي، وتشير المعلومات التي جمعها المكتب الإحصائي للأمم المتحدة حول العنف الأسري إلى أن امرأة واحدة من بين كل أربع نساء في البلدان الصناعية قد تعرضت للضرب من قبل شريك الحياة، وتبين أن هناك (74) مجتمعاً ريفياً صغيراً تتم فيه ممارسة العنف بشكل مرتفع ضد النساء من أصل 90 مجتمعا ريفياً بالبلدان النامية (القاطرجي، 2006: 373-374) .

ولقد تبين أن 90% من مرتكبي العنف من الذكور، وأن 53.8% من ضحايا العنف كن من الزوجات، ثم تعرض الابن الذكر وبعده الابنة، وأن أعمار .5% من الذين مارسوا العنف تجاوزت ثلاثين

سنة، وأن 77.9% من الذين مارسوا العنف كانوا من الأزواج أو الآباء، وأن 47.1% من الذين مارسوا العنف تعلموا تعليما ثانوياً فما دون، وأن 75% من حالات العنف حدثت بالمدينة الكبيرة، وأن أكثر حالات العنف الأسري تحدث في القرى ومناطق العمارات، وأن أكثر حالات العنف حدثت في الأسر التي تقيم في شقق أو منازل عربية، وأن العنف يحدث في الأسر ذات الدخل الذي لا يكفي لتلبية حاجاتها أو يكفيها، وأن أكثر من ثلاثة أرباع المعتدين يتصفون بصحة جيدة، وأن أكثر حالات العنف اليومية تأتي في شكل تهديد بالضرب، وآن أكثر الفئات التي تشاهد العنف هم الأطفال ثم كبار السن وأخيراً الجيران، وأن ما يقرب من ثلث حالات العنف تأتي بعد الظهر، وحوالي خمسها في منتصف النهار.

كما تبين أن ما يقرب من نصف حالات العنف تحدث بعد الرجوع من العمل، وحوالي خمسها قبيل وجبة الغذاء، وأن أكثر حالات العنف تحدث في إحدى الغرف، ثم في الصالة، وأن حوالي ثلث المعتدين لا يشعرون بشيء بعد عدوانهم، في حين يشعر أكثر من ربعهم بالفخر إثر عدوانه، واتضح أن أكثر أسباب العنف تأتي بغرض التربية والتأديب أولاً ولتأثير الأقارب ثانياً، وبسبب مشكلات عامة ثالثاً، وبسبب مشاكل في البيت رابعاً، وأن نوع العلاقة بين المعتدي والضحية تقوم على الحب والاحترام أولاً، وعلى الخصام والشجار ثانياً، وعلى العطف ثالثا، وعلى الكراهية رابعا، وبين أكثر من نصف العينة أن ردود فعلهم عند الاعتداء عليهم تكون بالبكاء، أولا، والشكوى للأهل ثانيا، والاحتجاج ثالثا،(التير، 1997: 60-88).

8) العنف السياسي:

ويتمثل في إقصاء الرجل المرأة عن ممارسة دور القيادة في المجتمع، أو تولي مناصب سياسية حساسة في الدولة أو المجتمع بحجة ضعفها وخضوعها لتأثير العاطفة، أو لكي لا ترفع من مستواها الاجتماعي، أو الاقتصادي أو المعنوي. يؤكد العنف السياسي النزعة العنصرية للمرأة، ويؤكد تعصبه تجاهها خوفاً من منافستها له والتي قد لا يقوى على مواجهتها. إذ يؤكد الواقع قدرة المرأة على إدارة أعمال كثيرة بنجاح خارج بيتها، بل وتفوقها على الرجل فيها، نظراً لما تتمتع به من صبر وتحمل وطاعة وقدرة على تحمل الإحباط مقارنة بالرجل.

9) العنف الزوجي:

ينتشر اليوم العنف الزوجي على نحو واسع؛ حيث يمارس العديد من الأزواج العنف على زوجاتهم، وهو عنف يأخذ شكل العنف الجسدي، والنفسي، والصحي، والجنسي، واللفظي. وتؤكد الملاحظات المبدئية أن العنف الزواجي ينتشر بين الأزواج حديثي الزواج، كما لوحظ أن الكثير من حالات الطلاق على علاقة بالعنف الزوجي. وثمة عوامل كثيرة تتضافر وتنتج أو تعزز العنف الزوجي. من بين هذه

العوامل: سكن الزوج مع والديه، وتدني مستوى الدخل، واختلاف الخلفية الاجتماعية والثقافية للزوجين، وتدخل أهل الزوج في شئون الزوجين، واستجابة الزوج للوشاية أو النقد اللاذع لزوجته، ومطالبة الزوج بأن تكون زوجته بمثابة خادمة لأهله، وتحيزه لأهله بالكامل إن شكت من جورهم، فضلاً على تقصيره في حقوقها الشرعية، وكثرة سهره أو تواجده خارج البيت، وعدم الاهتمام بها إن مرضت، وعدم توفير ما تحتاجه من مأكل وثياب ورعاية نفسية. فكل هذه العوامل وغيرها كثير يدفع ببعض الأزواج إلى الاعتداء على زوجاتهم.

ولقد وجد أن هناك عوامل تدفع الزوج لممارسة العنف ضد زوجته ومن بين هذه العوامل: نشأة الزوج في أسرة يسودها العنف، حيث يمكنه أن يتعلم سلوك العنف من خلال مشاهداته الأولى، وهذا نموذج سيء يمكن أن ينعكس على حياته الزوجية مستقبلاً. وقد وجد كاريجا (2002) أن الأطفال الذين تعرضوا للعنف من قبل آبائهم في الصغر أكثر ميلاً من غيرهم إلى تكرار مثل هذه الممارسة مع زوجاتهم في الكبر. كما وجد بلاث (1992) ازدياد احتمال ممارسة الزوج للعنف نحو الزوجة والأطفال في حال تعرضه هو وأمه لعنف والده في طفولته، وذلك بعكس الأسر التي تعيش بسلام وليس فيها زوج يمارس مثل هذا العنف نحو الزوجة والأطفال حين ينتفي العنف من أسر هؤلاء الأطفال الذين كبروا وتزوجوا. ووجد ليجال (1977) في دراسته عن علاقة العمر بالعنف نحو الزوجة أن نسبة العنف تزداد بين الأزواج الذين تزوجوا مبكراً، بين سن (15-20) سنة، وأن من هم بين (20-30) سنة أكثر ممارسة للعنف تجاه زوجاتهم ممن هم بين (31-40) سنة.

وأنه كلما تقدم الزوج في العمر قل لجوؤه إلى استخدام العنف. كما أن الزوج يكون أكثر عنفاً ضد زوجته في تلك الثقافات التي تعطي الأفضلية في المكانة والسلطة للرجل، كما يسيء الزوج الغيور لزوجته عند شكه في وجود علاقة بين زوجته ورجل آخر. كما يعتدي الزوج على زوجته في تلك المجتمعات التي تبرر للزوج العنف نحو المرأة المتعلق بالشرف. يسلك الزوج العنف ضد زوجته بسبب سوء توافقه معها أو نتيجة تعرضه لضغوط نفسية أو مهنية، أو لبطالته، حيث يلجأ للعنف ضدها بسبب رغبته في التنفيس عن الضغوط الناتجة عن مثل هذه العوامل. كذلك يسلك الأزواج الذين يتعاطون المخدرات السلوك العنيف تجاه زوجاتهم. يرتبط العنف الزوجي بكثرة الأطفال وتدني مستوى الدخل.

كما يعتدي الزوج على زوجته تقليداً لما يشاهده من عنف في وسائل الإعلام التي تظهر الرجل على أنه الأقوى. ووجد أن العنف الزوجي يرتبط بحمل الزوجة. وقد أكد 7% من الزوجات أنهن يتعرضن لعنف أزواجهن في فترة الحمل لعدم رغبتهم فيه أو لعدم تحقق رغباتهم كما كان الحال قبل الحمل، أو لأن الحمل وتبعاته مكلف وخاصة بعد ولادة الطفل، (ورد في بحري وقطيشات، 2011: 53-57).كما وكشفت دراسة امبيريقية في المجتمع الليبي أن48.4% من الزوجات يتعرضن أحياناً لمضايقة أزواجهن،

وبين 44.2% من الزوجات أنهن يشعرن أحياناً أن أزواجهن لا يفهمونهن، (المركز، 2012: 85)، بيد أن سلوكات العنف بين الزوجين لا تمر بسلام؛ فالبيت الذي يمارس فيه الزوج العنف بأشكاله المختلفة على زوجته، سيسكنه الخصام والعداوة والحقد ويؤسس على أتون من الجحيم الذي يكتوي بناره حتى الأطفال الذين سيتحولون بدورهم يوماً ما إلى كتلٍ من الحقد والعنف تقليداً لوالديهم القساة والعدوانيين. ويشتد العنف عندما تقابل الزوجة عنف الزوج بعنفٍ مماثلٍ. فالعنف لا يولد سوى العنف. وقد تقبل الزوجة عنف زوجها، فتعيش مضطهدة وهو شكل من القهر لا يقل مرارة عن العنف الجسدي.

10) النظرة للمرأة ككائن ايروتيكي:

تُنعت المرأة في المجتمعات الذكرية بعدة صفات تنال من كرامتها؛ حيث يتم النظر إليها على أنها رمز العيب والقصور والدونية والفسق والغواية والشرور والآثام، وأنها كائن لا يؤتمن، وتسيره العواطف والأهواء، ما يستوجب لجم عواطفها ووضع رقابة صارمة على تصرفاتها، ومحاصرة جسدها بكل ما يحول دون إظهار فتنتها. ومن هنا فإن المرأة التي ترتدي الحجاب وتكبح عواطفها تُقابل بالتقدير والاحترام. "يستهدف الحجاب الجسد كوعاء للكينونة، وكشكل للإقامة على الأرض متسللاً إلى العقل والوجدان مساهماً في تشكيل صورة محددة عن الذات، تستدخل وتستبطن حتى تصبح إحدى مكونات الشخصية. وباستهدافه شمولية الجسد الأنثوي يعبر الحجاب كعلامة عن أيديولوجيا متكاملة تتعلق في آن معاً بالنظرة إلى هذا الجسد، وعلاقته بالجسد الآخر، وعلاقتهما معاً بمنظومة أخلاقية معيارية تقوم على تشيئ، جسد المرأة وتأثيمه وتبرئة الرجل" (الجوهري، 2007: 185).

المرأة من المنظور الأخلاقي شهوانية فاتنة وتسأل عن افتتان الرجل بها وعن افتتانها به، وهو براء من الافتتان ومحاذيره، ولذا يتعين عليها أن تتخذ التدابير الوقائية للحيلولة دون هذه الفتنة والتي لن تتم إلا بارتداء الحجاب، وتقديس التقاليد والأعراف التي ترسم لها الوسائل القمينة بطمر فتنتها. يفرض المجتمع على المرأة التحجب لنعته إياها بالغواية والفتنة وحدها من دون أن يشركها في اتخاذ قرار التحجب، ويعرف وجهة نظرها فيما تتهم به من اتهامات مثل أنها: رمز الغواية والفتنة والآثام في المجتمع، ودون أن يعمل على تحصينها من الداخل لكي تكون متحجبة عن قناعة، أي دون أن تكون مقتنعة ذاتياً بعدم فعل كل ما يطال عفتها ويثير شهية الذكر ويظهر فتنتها. المرأة في المجتمعات الذكرية هي من يتهم بكل الصفات المذمومة، والذكر هو من يرسم لها طرق إظهار العفة والاحتشام نيابة عنها، ودون أن يشركها في اتخاذ قرار هذا السلوك الأخلاقي.

ولذلك فإن بعض النساء يقعن في المحظور الأخلاقي على الرغم من تحجبهن الظاهري، وكأن لسان حالهن يقول: يمكن للمجتمع أن يرسم لنا ما يريد، ويمكن لنا أن نفعل ما نريد. ويسمع المرء عن تورط بعض المحجبات في الرذيلة، حيث حقق لهن الحجاب ما يطلق عليه "بالمجهولية"، أي وفر لهن الأمن

وعدم معرفة الناس بهويتهن. إذ يمكن للمرأة المتحجبة الغاوية أن تركب مثلا في عربة لتنفيذ مآربها العاطفية المحرمة مع ذكر تتفق معه، وفي وضح النهار، وفي ظروف قد لا يعرفها فيها حتى أقرب الناس إليها. ذلك لأن أردية الحجاب الموحدة الشكل تجعل المرء يعجز عن التمييز بين قريبته وبين غيرها من النساء.على هذا النحو يصبح الحجاب وسيلة لتسهيل مهمة المتحجبة في تنفيذ مشروعات غير أخلاقية إذا كانت غير مقتنعة به، أو كانت تفتقد الضبط الذاتي أو العفة الذاتية التي تحول دون انحرافها جنسياً.

ولما كانت المرأة جسد يموج بالفتنة والشهوة، فقد وجب ستره، ذلك لأن "عملية حجب الجسد يفترض أنها صون له عن طريق نقله إلى مستوى الأشياء الخافية عن الأعين أو الأشياء غير المرغوب فيها، وأحياناً المتغيرة، إذا حكمنا على الأمور في ضوء بعض مظاهر التحجب التي تؤدي إلى تشويه مقصود ومتعمد لأية صورة جمالية للمرأة، والمفروض أن عملية التحجب هذه ترفع الجسد فوق مستوى "السفور" الذي يبتذله ويتفنن في إظهاره للآخرين وعرضه عليهم لأغراض أقل خطراً من انتزاع إعجابهم به. ومع ذلك فإن العلاقة بين الحجاب الكثيف وأشد أنواع السفور تطرفاً، أعني السفور "المتبرج" أقوى مما نظن. فهما معاً وجهان: أحدهما سلبي، والآخر ايجابي، لعملة واحدة. أما هذه العملية الواحدة التي يشترك فيها الحجاب والسفور المتطرفان فهي تأكيد أهمية الجسد والإصرار على أنه موضوع دائم للرغبة ومصدر دائم للإغواء" (ورد في الجوهري، 2007: 185-186).

11) العنف الثقافي:

تسهم الثقافة في إعطاء الحق لسيطرة الرجل على المرأة، ومن هنا فإن لعنف الرجل ضدها جذورا تاريخية واجتماعية؛ فالرجل منذ القدم هو الذي اعتاد السيطرة على المرأة، كما أن أساليب التنشئة الاجتماعية المتبعة ترسخ تبعيتها للرجل وتحكمه فيها، أضف إلى ذلك أن لدى الرجل نزعة حب السيطرة على كل شيء بما فيه السيطرة على المرأة. يعكس عنف الرجل على المرأة خبرات الرجل في طفولته. فقد أشارت دراسات كثيرة إلى أن معظم المسيئين لزوجاتهم سبق لهم وأن تعرضوا لشكل من أشكال الإساءة في طفولتهم، ولذلك فهم أكثر إساءة لأطفالهم، كما تبين أن الزوجة التي تعتدي على زوجها عادة ما تكون قد تعرضت خلال تاريخها النفسي إلى عدوان من والديها؛ فالمرأة التي تعرضت للعنف الأسري في طفولتها وعانت قلة الشعور بالأمن، لا بد وأن تكون عنيفة تجاه زوجها وأطفالها.

يرتبط عنف الرجل وإساءته لزوجته بطبقته الاجتماعية؛ فالطبقة الاجتماعية الدنيا التي ينتمي إليها الرجل تسبب له الكثير من الإحباط، وهذا الإحباط المرتبط بالفقر والبطالة والسكن في ظروف سيئة وتدني مستوى المعيشة يدفع الرجل لممارسة السلوك العدواني بدافع التنفيس عن ما يعانيه من تعاسة وشقاء وعادة ما تكون الزوجة أو المرأة بشكل عام هي كبش الفداء. فالرجل الفقير وبحكم انتمائه لطبقة فقيرة يبدو أنه يستعيد بعضاً من ذكورته الضائعة في خضم الفقر والتعاسة في شكل ممارسة عدوانية وعنف

تجاه المرأة. كما أن الرجل التعيس عادة ما يفتقد السيطرة على الأمور التي من حوله، ولذلك فإنه يدفع عن نفسه شعوره بالعجز عبر سيطرته على مخلوق ضعيف كزوجته وذلك من خلال الإساءة إليها؛ إذ أن اعتداءه يبدو أنه هو الوسيلة الوحيدة والممكنة لاسترداد ذاته الضائعة، وقهر شعوره بالدونية والإحباط. ترتبط إساءة الرجل للزوجة بعدم وجود دخل مستقل للزوجة. كذلك ترتبط ظاهرة العنف ضد المرأة بانخفاض المستوى التعليمي للمرأة وبعدم ممارستها لعمل ما؛ فالمرأة العاملة والمتعلمة أقل تعرضاً لإساءة الرجل، كما أن المرأة التي لديها أطفال لا تغامر بالانفصال عن زوجها رغم إساءته لها حرصاً على عدم تشرد وضياع أطفالها بالانفصال.

تؤدي وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية دوراً مهماً في تكوين الرأي العام نحو مختلف القضايا بما فيها قضية المرأة. لذلك قد تكون اتجاهات الأفراد نحو المرأة إيجابية أو سلبية. وقد أجحفت بعض الروايات والقصص العربية في حق المرأة. فبعض القصص يظهر المرأة على أنها وسيلة إنجاب ووسيلة إمتاع وأنها مجرد جسد أنثوي ومادة مرغوبة للرجل ولجذب اهتمامه أو أنها كائن مسلوب الإرادة ويتسم بالتبعية وإلغاء الذات والصبر على المكاره. ويظهر بعض الروايات العربية مظاهر القهر التي تنصب على كيان المرأة. فالأب قاهر، والنظام الاجتماعي قاهر، والأم مقهورة ما قد يصل بالمرأة إلى مرحلة قهر الذات. لقد أعطي بعض الإنتاج القصصي لكبار الكتاب المصريين مثلاً صورة سلبية عن المرأة وأنها مجرد " شيء " واختزل وجودها في بعد أحادي مثلما هو الحال في رواية " الرباط المقدس " لتوفيق الحكيم، وفي رواية " العيب " لـ "يوسف إدريس" وفي رواية " بين القصرين " لنجيب محفوظ.

وتشير إحدى الدراسات المصرية عن صورة المرأة في الأفلام السينمائية (ضمت 410 أفلام سينمائية، وتضمنت ما يقرب من 460 شخصية متباينة) إلى أنه على الرغم من هذا التعدد، فإن المرأة ظهرت من خلالها في دورها التقليدي أو الأنثوي، حيث صورت كمخلوق وجد لإمتاع الرجل، فلا تشغلها القضايا العامة لمجتمعها، ولا تتأثر بمشكلاته القومية أو السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، بل تشغلها دائما أمور الحب والزواج والرغبة في الإنجاب، كما تمحورت نسبة كبيرة من هذه الأفلام في فلك الانحراف الشخصي؛ فصورت فيها بأشكال شتى من صور الانحراف، وحتى عندما صورت كعاملة أو دارسة للعلم أو مشاركة في تنمية مجتمعها، فإنها لم تظهر إلا بنسب ضئيلة أيضا، كما ظهرت المرأة الريفية الكادحة بنسب أكثر ضآلة لا تتناسب ونسبتها في المجتمع المصري(رمزي، 2001: 178).

كما أعطت بعض وسائل الإعلام المرئية صورة مشوهة عن المرأة؛ حيث تظهر المسلسلات والأشرطة المرئية المرأة في دور التابع للرجل، ما رسخ في وجدانها أنها مجرد جسد وموضوع للجنس والتكاثر، فعانت المرأة من الشعور بالاغتراب عن أدوارها البشرية المتعددة ولتبقى في النهاية قانعة بدورها كدمية جميلة تثير إعجاب الرجال(عفيفي، 1996: 49 – 50).

كما أظهرت الدراما التلفزيونية صورة المرأة التي تدافع عن تبعيتها، فتتبنى فكرة استعبادها معتبرة أن تلك الصورة هي جزء لا يتجزأ من طبيعتها الأنثوية، فيؤدى بها ذلك إلى التضحية بنفسها بلا حدود من أجل إسعاد الآخرين الذين لا تتوقع منهم مقابلا نظير ما تقوم به من تضحيات (رمزي،2001: 175).

تظهر البرامج التلفزيونية أن الأمومة والزواج هو الهدف الأخير لأي فتاة في الحياة. وتستغل بعض البرامج المرئية المرأة كوسيلة للربح المادي؛ حيث تستغلها بعض وسائل الدعاية والأشرطة والمسلسلات المرئية وأغاني الفيديو كليب المصورة كوسيلة للأغراء وإظهار المفاتن، ما أدى إلى التشويه والتسطيح المتعمد لصورة المرأة سعياً وراء تحقيق الأرباح الخيالية في غيبة الانتقاء الجيد والرقابة على الإنتاج.كما تُستغل المرأة في الدعاية لبعض المنتجات وفي شكل يعرض مفاتنها، وينال من كرامتها، فصارت مغتربة عن ذاتها الحقيقية وطمس دورها الإبداعي والإنساني.

بعض النظريات المفسرة لظاهرة الإساءة للمرأة:

ثمة نظريات تفسر ظاهرة الإساءة للمرأة ومن بينها:

1) النظرية السلوكية:

يذهب "سكنر" إلى أن سلوك الفرد في الوقت الراهن ما هو إلاَّ محصلة لكيفية التدعيم السابق للسلوك المماثل في الماضي؛ فالإنسان يسلك على نحو ما وفقاً لطريقة التدعيم التي تم بها تدعيم ذلك السلوك في الماضي. ومن هنا فإن الفروق الفردية بين الأفراد في السلوك ما هي إلاَّ تعبير عن ذلك الاختلاف في تاريخ التدعيم الخاص بكل فرد على حدة، وبناءً على ذلك فإن الطفل يكتسب في سنواته الأولى الأنماط السلوكية الخاصة بالدور الجنسي وذلك من خلال التدعيم والإثابة للاستجابات المناسبة مع النمط الجنسي للطفل أو الطفلة، ومعاقبة الاستجابات غير المرغوبة. هذا وتميل الاستجابات التي تم تدعيمها إلى أن تقوى وتتكرر وتعمم على المواقف المشابهة. أما الاستجابات التي يُعاقب عليها الطفل، فإنها تختفي أو تضعف كما يقل حدوثها. ومن أمثلة ذلك أن إثابة الطفل على السلوك العدواني، وعقاب الطفلة على سلوكها العدواني يجعل الطفل الذكر أكثر عدوانية مقارنة الأنثى.

وقياساً على ما تم طرحه يمكننا أن نقول: إن الفرد الذي اعتدى على شخص ما بهدف إرغامه على تنفيذ أمر ما، ثم قام هذا الشخص الأخير بتلبية أوامر الشخص المعتدي، فإن الشخص المعتدي سيميل إلى تكرار سلوكه العنيف في المواقف المشابهة كلما تقاعس ذلك الشخص الذي تم الاعتداء عليه في تنفيذ مطلب ما له. والطفل الذي يستخدم قوته البدنية من أجل الحصول على حاجة ما لدى طفل آخر، ويلحظ أن أمه تبتسم له أثناء عدوانه على ذلك الطفل، ويفلح في حصوله على حاجته منه بالقوة، سيميل إلى استخدام قوته والاعتداء على الأطفال الآخرين كلما أراد أخذ حاجة ما من أطفال آخرين بالقوة.

والزوجة التي يعتدي عليها زوجها بالضـرب بسـبب رفضـها لتنفيذ أمر ما له، وبعد معاقبته إياها قامت بتنفيذ مطلبه، فإن زوجها سيعمم مسلكه هذا في المواقف المشـابهة، حيث سيضـرب زوجته كلما تمردت على أوامره أو رفضتها.

2) نظرية التعلم الاجتماعي:

يرى "البرت باندورا" أن معظم أنواع السـلوك يتم اكتسـابها من خلال ملاحظة سـلوك الآخرين، ومطابقة الفرد لسـلوكه بسـلوك الآخرين، ولذلك فإن الفرد يكتسـب خصـائص الدور الجنسـي من خلال مشـاهدة نموذج معين، ومراقبة ما يترتب على سـلوك النموذج من نتائج. ويتوقف الاقتداء بالنموذج ومطابقة سـلوكه على عدة عوامل مثل: جنس النموذج، وقوة النموذج وسـيطرته، ومدى دفء النموذج. ويرى "باندورا" أن الطفل وبغض النظر عن جنسه يقتدي ويطابق الوالد الأكثر قوة وكفاءة وسيطرة وبغض النظر عن جنسه أيضاً.

ويذهب بعض الباحثين إلى أن العنف ضـد المرأة يعود إلى المراحل المبكرة من الطفولة؛ فالطفل الذي يشـاهد خلال سـنواته الباكرة أن العلاقة الزواجية بين والديه تتسم بالقسوة والإسـاءة والعقاب البدني والإهانة يبدأ في تقبل فكرة أن العدوان والعنف نمط مقبول للتعامل مع الآخرين ومع الزوجة. فوجود الطفل في بيئة عنيفة يرفع من درجة احتمالية عنفه في علاقته مع الآخرين مسـتقبلاً. وبناءً على ما سـبق فإن الطفل الذي يرى أن النموذج العدواني وخاصـة في الأب يحقق مكاسـب كبيرة ضـد الأم كالسـيطرة مثلاً، سيتعلم هذا الطفل أن العنف ضد الآخرين ومنهم الزوجة هو وسيلة فعالة للحصول على مكاسب وفرض السيطرة والشـعور بالقوة، ويشـعر بأن العنف يكون أحياناً أسـلوباً ضـرورياً وفعالاً في الحياة وفي العلاقات الحالية واللاحقة.

يفترض باندورا Bandura (1965) أن تعلم أي سـلوك يتم بالملاحظة والمحاكاة والدافع المحرض على السـلوك المراد تعلمه وتعزيز السـلوك المراد تعلمه. وقد أجرى باندورا (1965) تجربة للتحقق من فروضـه في مجال تعلم السلوك العدواني. فمشـاهدة الأطفال للعدوان على التلفزيون أو عن طريق الوالدين مثلاً يعد كافياً لجعل الطفل يتعلم السـلوكيات العدوانية، وأن الطفل يتعلم ممارسـة السـلوك العدواني سـواء تمت مكافأة أو معاقبة مرتكبيه في الماضـي. وأنه حتى ولو تمت معاقبة الطفل على عدوانيته، فإنه سيظل يتعلم العدوان، وسيكون قادراً على التعبير عنه (Goldstein, 1980: 270).

وبناءً على ذلك فإن الذكر يتعلم ممارسـة العنف ضـد الأنثى من قبيل التقليد والمحاكاة؛ فالابن الذي يشـاهد عنف والده على والدته ويرى أن والده يكافأ على عدوانيته هذه بصـمت الوالدة وعدم احتجاجها، وتحملها لعنف الوالد، يتعلم ممارسة العنف على غيره إن أراد تحقيق غاية ما، كما أنه سيسلك العنف تجاه

زوجته مستقبلاً تقليداً لعدوانية والده. ويمعن الذكر في ممارسة العنف ضد المرأة عندما لا تقابل عدوانيته بعدوانية مماثلة؛ حيث تثيبه على عدوانيته. كما يتعلم المرء أساليب العدوان وفقاً لهذه النظرية سواء مارسه أو لم يمارسه.

3) النظرية المعرفية:

يذهب أصحاب هذه النظرية إلى أن الطريقة التي ندرك بها الأشياء والأحداث ونفكر فيها ونتذكرها ونتخيلها هي التي تؤثر علينا، وهو ما يصدق مقولة "ايبكتاتس" Epictetus الذي قال ذات مرة: إن الناس قد لا يضطربون بسبب الأحداث ولكن بسبب وجهات نظرهم التي يتخذونها بصدد هذه الأحداث. وردد "شكسبير" مقولة "ايبكتاتس" في مسرحية هاملت" عندما قال: ليس هناك شيء طيب أو شيء سيء، بل هو التفكير ما يجعله كذلك (ورد في أميمن، 2007:490).

وبناءً على هذه النظرية، فإن سلوك الفرد وانفعالاته يتوقفان بصفة أساسية على كيفية تقييم الفرد وتفسيره وتقديره لما يمر به من خبرات وما يضيفه على هذه الخبرات من دلالات ومعانٍ، كما أن أفكار الفرد ومعتقداته لا تحددان انفعاله وسلوكه فقط، بل تحددان أيضا اتجاهاته نحو ذاته ومشكلاته وبيئته وحياته بل واتجاهاته نحو العالم ككل.

فالصيغة المعرفية التي يستقبل بها الفرد الأحداث هي التي تقرر مدى تأثره بهذه الأحداث، ويعتمد هذا على طبيعة التكوين المعرفي أو مضمون التكوين المعرفي من أفكار وإدراكات وتخيلات. وقياساً على ذلك، فإن الصيغة المعرفية المرتبطة بالتكوين المعرفي الذي يتضمن الشعور بالتهديد مثلاً، هي التي تجعل الفرد يدرك ويتخيل ويتذكر ويحلم بالأفكار والوقائع التي تتضمن توقعاً للمخاطر والتهديد، ما يجعله يحرف كل الخبرات في اتجاه التوقع المستمر للخطر سواء الخطر الكامن في الموقف الحالي أو القادم من المستقبل. وهذا ما يجعل الفرد يشعر بالتهديد الدائم ويكون صيغة سلبية تجاه ذاته، وينظر إليها على أنها تتسم بعدم الكفاءة، كما يحمل نفس الاتجاه نحو الآخرين الذين يتوقع منهم التهديد المستمر، وتجاه الوقائع التي يتوقع منها التهديد، وتجاه المستقبل الذي لا يحمل في رأيه إلا الشر والضرر.

وبناءً على ذلك فإن المنظور المعرفي للإساءة للمرأة يرى أن تأثر المرأة بالإساءة سواء أكانت جسمية أم نفسية يتوقف على كيفية إدراكها وتقديرها وتفسيرها وتخيلها وتذكرها لهذه الإساءة.ولذلك فإن المرأة قد لا تتأثر بالإساءة في حد ذاتها ولكنها تتأثر بكيفية رؤيتها وتقديرها وتفسيرها لها. والصيغة المعرفية التي تستقبل بها المرأة الأحداث وتؤثر عليها وجدانياً وسلوكياً تتكون منذ الطفولة؛ فخبرات الطفولة والتاريخ النفسي للمرأة وتاريخ علاقتها مع الوالدين والمحيطين بها، ومدى تعرضها للإساءة الجسمية أو الجنسية أو الانفعالية أو شعورها بالأمن- هو ما يكون صيغتها المعرفية التي تدرك بها الأحداث أو هي التي تحدد

مدى تأثرها بهذه الأحداث. كما أن المرأة التي تشعر بالدونية وتعامل دوماً على أنها كائن ناقص، تتكون لديها وبتتالي السنين عقدة الشعور بالدونية وقلة القيمة، وتؤمن عن قناعة بتبعيتها للرجل، فتتحمل جوره وحيفه وحتى عدوانيته لا سيما عندما تسود قيم اجتماعية مثل: أن الرجل أكثر ذكاءً وكفاءة من المرأة، وأن ضرب المرأة وسيلة لتأديبها، وإنها ينبغي أن تكون ظل الرجل، وأنها لا تستطيع العيش بالاعتماد على نفسها.

4) النظرية البيولوجية:

لقد فسرت العدوانية بعدة تفسيرات نفسية وبيولوجية؛ فهناك من يرى أن العدوانية ظاهرة بيولوجية أو عصبية وهي بذلك ظاهرة حتمية وضرورية وأن العلاج الوحيد الممكن لها هو تجنب الأذى الذي يمكن أن تلحقه وذلك بإيجاد القنوات المناسبة والملائمة اجتماعيا. ويذهب "انطونيني" في كتابه " الإنسان الغاضب" إلى أنه في عالم الأحياء تبرز العدوانية مع ظهور الخلايا الأولى، إذ أن حاجتها – أي حاجة الخلايا – إلى الطعام والتبادل قد دفعتها بالضرورة إلى البلعمة وإلى ابتلاع مواد وعناصر حية أخرى والى الهدم المتبادل. ويعد " كانون" أول من حاول اكتشاف الأساس والمؤشرات الفيزيولوجية للانفعالات والتي في رأيه تشكل فئة واسعة تضم فيما تضم العدوانية التي تحدث خلال الغضب بسبب سلسلة من التغييرات الأحياء–كيميائية والفيزيولوجية الناتجة عن فعل الجهاز العصبي العاطف والغدد الكظرية. وهذه التغييرات كما يرى " كلاينبرغ" ليست خاصة بالعدوانية وإنما تحدث أيضاً في الخوف والاهتياج، فهي تشكل القاعدة للسلوك العاطفي العنيف بشكل عام ولا تشكل قاعدة للعدوانية كظاهرة مستقلة. ولقد أدت أبحاث "كانون" إلى اكتشاف أهمية التحت–سريري " الهيبوتلاموس" في الانفعالات مبيناً أن كل أنواع الانفعالات تختفي حين يتم استئصال هذه المنطقة الدماغية. ولقد توصل عالم النفس الفيزيلوجى الأمريكي " آكس" إلى أن المظاهر الفيزيولوجية لانفعال الخوف تتحدد بفعل الكظرين "الأدرينالين" أما في حالات الغضب، فإن الهرمون الرئيس هو النورادرينالين (رزق الله، 1980: 278).

ثمة أساس فسيولوجي وتشريحي للسلوك العنيف؛ فقد أشار العالم الفسيولوجي هيس (1932) إلى "أن هناك مناطق بعينها توجد في المخ لها علاقة مباشرة بالسلوك العنيف عند كل من الحيوان والإنسان، وأن تنبيه هذه المناطق يفجر السلوك العنيف"(الخولي، 2008: 104).

ويرى بعض الباحثين أن ردود الفعل الانفعالية كالغضب أو التوتر تسبب ردود فعل نوعية على مستوى الأعصاب أو على مستوى الغدد الصماء. ولذلك فإن أي عمل عدواني ينتج عنه تغيير في دقات القلب، وتبدل في التنفس والدورة الدموية، وإفرازات في الغدد. وعندما يدرك الفرد ردة الفعل هذه والتي تنتقل إلى الدماغ عن طريق الدفع العصبي تحدث ردة الفعل تلك الحالة النفسية التي نطلق عليها العدوان أو العنف أو عملية التفريغ العدواني. وإذا لم تتم عملية التفريغ العدواني نحو الخارج بالكلام أو المواقف،

فسيتم تفريغها داخلياً مسببة الاضطرابات الحادة المزمنة داخل الجسم. كما أن الحرمان من تخفيف العدوانية هو الذي يرفع درجة التوتر. ذلك لأن فترة انقباض القلب لرفع الدم تقصر أو تزول، وتضم كمية كبيرة في الشرايين، وتزداد ضرباته ويصبح الكبد صلباً وتبدأ الغدد الكظرية بتنبيه وظائف كل الأعضاء.وقد اعتبر البعض أن العدوان هو وسيلة الجسم للتخلص من السموم التي تكونت أثناء الغضب. وبشكلٍ عام لابد أن يسبق التوتر عملية إفراغ العدوانية، وهو ما يعني أن السلوك العدواني مطلوب لإزالة التوتر. ولذا فإن تفادى العدوانية يتطلب تفادى تلك المواقف التي تقود إلى التوتر. وإذا كانت العدوانية ذات أصل بيولوجي أو حتمية، فإن تفاديها يستلزم البحث عن مخارج أو متنفسات مقبولة لتصريف الطاقة العدوانية. وبشكل عام يوجه الكائن الحي عدوانه إلى من يهددون طعامه، أو مركزه، أو مكان إقامته، وسبل عيشه الخ...

وهناك تفسير يربط بين زيادة العنف وملوثات البيئة؛ فقد كشفت دراسة نشرت في صحيفة الجمعية الطبية الأمريكية أن سلوك الشبان الذين تتركز كميات عالية من الرصاص في عظامهم يكونون أكثر عدوانية وجنوحاً من سلوك الذين توجد في عظامهم كميات منخفضة من الرصاص، ناهيك عن أن سلوك المجموعة الأولى ازداد سواء مع مرور الوقت بغض النظر عن العوامل الاجتماعية. وأشارت دراسة روجر دي ماستر وزملائه إلى أن التعرض للملوثات السامة وخاصة الرصاص والمنجنيز ربما يسهم في ميل بعض البشر لارتكاب جرائم عنيفة، الأمر الذي دفع "ماستر" إلى تطوير فرضية التسمم العصبي في الجرائم العنيفة لتفسير الأسباب التي تكمن وراء الاختلاف الكبير في معدل الجرائم من منطقة جغرافية إلى أخرى. واكتشف "ماستر" أن التلوث البيئي وارتفاع استهلاك الكحول يقومان بدوركبيرٍ في مسألة ارتكاب الجرائم العنيفة. فقد بلغ معدل ارتكاب تلك الجرائم في المقاطعات الأمريكية التي يكثر فيها التعرض للرصاص والمانجنيز مع ارتفاع استهلاك الكحول- مستوى يفوق المعدل العام للجريمة بثلاثة أضعاف، (ورد في الخولي، 2008: 44-45).

ولقد تبين أن هناك علاقة بين العدوان بصفة عامة وبين تعاطي الخمور"فكلما زاد تعاطي الخمور، زاد معه العدوان، كما أن الرجال من الطبقة المتوسطة والدنيا أكثر إساءة لزوجاتهم في حال تناولهم الخمور، وأن 50% من الأزواج المدمنين للخمور كانوا يسيئون إلى زوجاتهم ويعتدون عليهن، ويبدو أن الخمور عامل مهم للتنبؤ بالإساءة الزواجية إلا أنه ليس العامل الوحيد"(حسن، 2003: 21).

ووفقاً لهذه النظرية فإن المتعاطي للكحول أو لغيرها من المؤثرات العقلية كالمخدرات وحبوب الهلوسة ونحوها، عادة ما يمارس العنف ضد المرأة بشكلٍ عنيفٍي العادة، وعندما يكون في حالة تعاطي بشكل خاص. كما أن الرجل الذي يتعرض للتلوث البيئي بكافة صوره مثل التلوث الضوضائي، والتعرض للازدحام الشديد ولدرجة الحرارة المرتفعة وارتفاع نسبة الرطوبة، والتعرض للغازات والأبخرة، والعيش في

بيئة يسودها العنف، عادة ما يصاب بالتوتر الشديد، ما يدفعه لضرورة التخلص منه في شكل الاعتداء على ضحية، وقد تكون المرأة من بين هذه الضحايا.

5) النظرية الوظيفية:

يرى الوظيفيون أن العنف يظهر نتيجة لفقدان الارتباط والانتماء للجماعات الاجتماعية التي تنظم وتوجه سلوك أعضائها أو أنه نتيجة لفقدان المعايير ونقص التوجيه والضبط الاجتماعي، هذا من جهة. ومن جهة أخرى يلحظ أن بعض الأفراد قد يتخذ من العنف أسلوبا آخر للحياة ويلجئون إلى العدوان على الآخرين نظراً لعدم معرفتهم بأسلوب آخر للحياة غير السلوك المتسم بالعنف، ومن ثم يكون سلوك العنف انعكاسا للقيم الاجتماعية للمجتمع الذي يظهر فيه هذا النمط من السلوك (لطفي، 2009: 348).

تفترض هذه النظرية أن الأفراد والجماعات تعمل بشكل متوازن لكي تمكن النسق الاجتماعي من الاستمرار في أداء وظائفه المختلفة، ومن هنا يتعين على المجتمع أن يرتب أفراده في درجات أو رتب مختلفة كالطبقات الاجتماعية أو الفئات المهنية، لكي يوكل لكل فرد دوره الخاص به والذي يؤدي إلى تكامل النسق الاجتماعي عند تكامله مع بقية أدوار الأفراد الآخرين، وما لم يتحقق هذا الاختلاف في الوظائف والمهن ونحوها مثلاً، فلن يستمر النسق الاجتماعي. ذلك لأن المساواة في وظائف الأفراد تحول دون أداء أعمال متنوعة ومكملة لبعضها البعض في النسق الاجتماعي، وتحول من ثم دون استمرارية النسق الاجتماعي. وبناءً على ذلك يعد اختلاف دور المرأة عن الرجل متطلب وظيفي وإيجابي يحافظ على توازن النسق أو النظام الداخلي للأسرة بوصفها نسقاً، لأنه لو تحصل الرجل والمرأة على نفس المكانة والاهتمام، فسوف يُصاب النسق الاجتماعي بالخلل.ومن هنا فإن دونية وضع الزوجة للزوج أمراً إيجابياً وحتمياً لأنه الوسيلة الممكنة للحفاظ على استمرارية الأسرة وحمايتها من التفكك.

يمارس الرجال العنف ضد المرأة بسبب ما يعانونه من الإحباط الناجم عن البطالة والفشل في بلوغ الأهداف الاجتماعية، ولاعتقاد بعضهم أن المرأة غدت منافساً لهم في كافة المجالات والأدوار الاجتماعية. كما تصور وسائل الإعلام المرأة على أنها رمز الغواية والشرور وأنها تقوم بأدوار اجتماعية مثل الدعاية للسلع، كما اكتسبت أدواراً أنثوية غدت حكراً عليها ما دفع بعض الرجال إلى الاعتداء عليها ونعتها بأنها رمز الانحلال والتفسخ الاجتماعي، كما أن تخليها عن دورها الأسري على علاقة بتفكك المجتمع وانحلال الناشئة فيه لأدائها لأدوار خارجية، وهو ما غدا عاملاً يبرر العنف الذكري عليها.وعليه وبناءً على هذا التحليل فقد أصبحت المرأة بمثابة كبش فداء، كما صار العنف الواقع عليها يمثل وسيلة لاستمرار الأنساق الاجتماعية؛ فحتى يحدث توازن اجتماعي لا بد أن يصب بعض الرجال المحبطين جام غضبهم على المرأة لكي يشعروا بالهدوء وتستمر الحياة الاجتماعية، ويتم حل المشكلات الناجمة عن قصور بعض الأنساق الاجتماعية في أداء مهامها.

6) النظرية الصراعية:

يرى أصحاب نظرية الصراع أن العنف وسيلة للصراع بين النوعين (الجنسين)، إذ يعد العنف وسيلة أساسية لفرض سيطرة الرجل على المرأة وتميزه عنها.وقد أصبح العنف وسيلة لتأكيد عدم المساواة بين النوعين وأداة للضغط على المرأة بهدف العودة بها إلى المنزل والأسرة. وقد أصبح الرجل يستخدم أساليب متنوعة من العنف بهدف الإنقاص من مكانة المرأة وتفوقها. يعتبر الصراع بين الرجل والمرأة نتيجة حتمية؛ ذلك لأن اختلاف طبيعة الدور الاجتماعي بين الجنسين يرجع إلى اختلاف البناء الفسيولوجي والنفسي للجنسين والذي يفرض على كل من الذكر والأنثى أن يناضل من أجل إثبات ذاته. وأثناء هذا التنافس يسعى كل واحد منهما للانتصار على الآخر.

ولكن ونظراً لصعوبة حسم هذا التنافس، فإنه عادة ما يتوصل الرجل والمرأة إلى حل وسط، أو إلى حل يتنازل فيه أحدهما للآخر عن شيء من مطالبه لاستمرارية الحياة بينهما؛ ففي حالة نشوب الصراعات بين الزوجين مثلاً، قد يتوصل الزوجان إلى حل يحول دون انفصالهما، وقد يتنازل أحدهما عن حقوقه لضمان استمرار بناء الأسرة. ووفقاً لنظرية الصراع، فإن المرأة عادة ما تكون الفداء، وذلك لخضوعها لإرادة الرجل، وذلك بتنازلها عن حقوقها مقابل الحفاظ على بناء الأسرة من غير تفكك، وعادة ما يكون الأطفال أيضاً ضحية انتصار الرجل الذي يظل هو سيد الموقف وصاحب الأمر والنهي. في المنظور الصراعي لا بد وأن ينشب الصراع بين مكونات الأسرة وهما الزوج والزوجة والأطفال، وبذور هذا الصراع موجودة في طبيعة هذه المكونات، والصراع هو الذي يتوجب فعل ما يمكن فعله لحسمه من جهة، ولأجل ضمان استمرارية النسق من جهة أخرى.

ويلحظ كثرة حدة الصراع بين الجنسين هذه الأيام لا سيما بعد أن دخلت المرأة سوق العمل، وأكدت ذاتها ونالت نجاحات كثيرة في مجالات العمل والدراسة وعلى المستوى الشخصي، ما أشعل نار الغيرة في الرجل، وصار يرى فيها خصماً ومنافساً قوياً، وقد ترتب على ذلك شعوره بإحباط شديد غدا يعبر عنه في شكل التحرش بها في الفضاءات العامة، ونعتها بألفاظ سوقية، وحرمانها من حقها في الترقي الوظيفي، ومن ممارسة حقوقها السياسية والاجتماعية والقيادية، وسلب دخلها.

7) نظرية الإحباط–العدوان:

تقدم نظرية الإحباط– العدوان الفرض التالي: "كل شكل من أشكال العنف تسبقه حالة عدوان، وكل شكل من أشكال العدوان يكون مسبوقاً بحالة إحباط" (التير، 1997: 32).

وقياساً على ذلك فإن الرجال "لا يوجهون العدوان تجاه المرأة إلا بعد شعورهم وإحساسهم بالفشل والإحباط والخذلان الذي قد يكون في البيت أو الدراسة أو مكان العمل أو السياسة أو الدين(الحسن، 2008: 166).

وليس كل إحباط يقود إلى العدوان؛ فبعض الإحباطات لا تقود إلى العدوان. "فلكي تنتهي نزوة العدوان بفعل من أفعال العنف، هناك عوامل أخرى تؤخذ في الحسبان مثل نوع الإحباط، وشدة الرغبة في الوصول إلى الهدف، وقوة الإمكانات الداخلية للسيطرة على الانفعالات، وطبيعة رد الفعل المتوقعة"(التير، 1997: 33).

يلجأ الرجل إلى صب جام غضبه على المرأة انتقاماً مما حال دون بلوغ أهدافه مستغلاً ضعف حيلتها وعجزها، أو لاعتقاده بأنها سبب إحباطه. ولقد افترض "دولارد" أن العدوانية تنتج دائما عن الإحباط، كما يرى أن العلاقة بين الإحباط والعدوانية تخضع لقوانين أساسية أبرزها ما يلي:

أ) أن كل توتر عدواني ينتج عن إحباط.

ب) أن حدة العدوانية ترتبط طردياً بحدة الحاجة التي لاقت الإحباط، وبحدة الإحباط أي بأهمية الحاجز الذي يقف بين الرغبة وإشباعها.

ج) تزداد العدوانية مع ازدياد عناصر الإحباط.

د) إن صد العدوانية يزيد من حدتها، بينما يؤدى تفريجها إلى التقليل من أهميتها.

هـ) يشكل صد الأفعال العدوانية إحباطاً جديداً تنتج عنه عدوانية موجهة ضد العنصر الذي يعتبر مسئولاً عن عملية الصد هذه.

و) تتضمن العدوانية الموجهة ضد الذات بالضرورة عقاباً ذاتياً، وعليها بالتالي أن تتجاوز درجة معينة من الصد. لذلك يعتبر "دولارد" أن العدوانية الموجهة نحو الذات نادرة للغاية إلا في الحالات التي يتم فيها صد الأشكال الأخرى للعدوانية (رزق الله، 1980: 283- 284).

ولقد أيدت بعض التجارب الفرض القائل بأن السلوك العدواني هو الاستجابة النموذجية للإحباط. ففي تجربة "ماك كانداز واوشي" تم تعريض (63) طفلاً في سن ما قبل المدرسة لسلسلة من ثمانية مواقف إحباطية. ولقد أظهر الأطفال استجابات عدوانية ابتداء من المحاولة الرابعة حتى المحاولة الأخيرة. هذا ويذهب باحثون آخرون إلى أنه لا توجد استجابة واحدة للإحباط، وإنما هناك نحو خمسة أنماط من الاستجابة من بينها العدوان(عيسوي، 1984: 87).

ويحدث الإحباط الذكري عندما يكتشف الزوج أن زوجته لا تشبع حاجته للحب والحنان وأنها تتمرد على تعليماته وتشاكسه باستمرار، أو أنها لا تقدر الظروف الصعبة النفسية أو الاقتصادية التي يمر بها مثلاً، وفي وقت كان يتوقع فيه منها كل هذه الأمور، وتكون محصلة ذلك كله ممارسة نوع من العنف

تجاهها، وهو عنف قد يحتد أو يشتد بتراكم إحباطاته وعدوانيته، فيظهر في شكل عنف جسدي أو لفظي أو صـــحي أو اجتماعي أو اعتباري، أو طلاق أو هجر وهما من أقســـى أنواع العنف على المرأة. كما يســـلك الذكر العدوان تجاه الأنثى بدافع التنفيس عند عجزه عن رد اعتباره عندما تعرض لعدوان ما، أو بسبب تعرضه لضغوط الحياة وللضغوط النفسية، وتحمل زوجته لعدوانيته بشكل متكرر، وبسبب ضعفها وقلة حيلتها، وتقليده للنماذج الذكرية العنيفة تجاه المرأة، وكثرة انتشـــار كافة مظاهر العنف الاجتماعي تجاه المرأة.

مناقشة ختامية:

ليس من السهل شرح وتفسير العوامل المؤدية للعنف ضد المرأة في بحث صغير أو حتى في سفر، وذلك لكثرة وتنوع هذه العوامل. وبشكل عام يمكننا أن نقول إن العنف ضد المرأة في تصاعدٍ مستمر وذلك لاعتبارات نفسية وشخصية خاصة بالمرأة، ولاعتبارات اجتماعية. فالمرأة التي تقبل بحياة الذل والهوان تتعلم أن تكون ضحية لعنف الرجل وحتى ولو أتيحت لها فرص الحرية والانعتاق من عنفه، كما أن المرأة التي تقبل بدونيتها ستتصرف بطريقة تعكس هذه الدونية، فتثيب الرجل على عنفه تجاهها. والمرأة التي تشهد تحيز والديها لإخوتها الذكور، وتعجز عن تأكيد ذاتها، تتعلم وبتتالي السنين أن تكون أقل مرتبة من الذكر، وأن تكون ظله وتابعة له.

والمجتمع الذي يكافئ الأنثى على امتثالها وانصياعها للذكر، يغرس في إناثه حياة الذل والهوان والتلقي بكافة صوره، عندما تصمت المرأة عن رد عدوانية الرجل بعدوانية مماثلة، تعزز الرجل على عدوانيته، وترضى بأن تكون بمثابة كبش فداء يعبر من خلالها عن إحباطاته المتراكمة، وينتقم من خلالها من أعداء لا تطالهم يداه. تقبل المرأة بدونيتها بسبب قلقها واكتئابها الزائدين والناجمين من كونها أنها كائن يمرض ويدمى شهرياً، كما تصبح عنيفة أثناء دورتها الشهرية، وأثناء وحمها الناتج عن حملها. لا شك أن المرأة كائن عاطفي ورقيق ويسهل استمالته، ولذا فهي تقبل حتى بالعنف الذكري ما دام يجلب لها الرضا والحب والتمتع بالأمومة. كما أن بعض الإناث يعملن كل ما يجذب انتباه الذكر إليهن في شكل ارتداء الثياب الواصفة للجسد والشفافة للتمتع بالتحرش بها.

وقد تخفي المرأة عمرها الحقيقي لتضفر بالمتعة الجنسية ولو كانت في شكل اعتداء جنسي عليها، تستجيب المرأة لذلك التشريط الثقافي الطويل الذي يقيد حركتها ويطمس إبداعاتها المتميزة، ويحرص على أن تكون دوماً تابعة للرجل، ويدخل في خلدها أنها أقل ذكاء من الرجل، وأنها لا تصلح لدور القيادة، وأنها عاطفية وضعيفة الإرادة، ويسهل إغواؤها، وأنها مجرد متاع للرجل، وكائن مفرغ من مضمونه الفكري والروحي، وأنها لا تستطيع الاعتماد على نفسها، وأنها دوماً بحاجة لرعاية الذكر، كما تتم تنشئتها على أن تهتم بأناقتها، وأن لا تهتم بقضايا المجتمع، وأن تطبخ وتنجب وتمسح فقط، فتتخلى عن إبداعاتها ولا تسهم

في تقدم المجتمع، وتصبح بتتالي السنين عبارة عن كائنٍ هشٍ، متلقي، عاطفي، لا هم له سوى الانشغال بتوافه الأمور.

بيد أن هذا التشريط الثقافي الذي يحصر المرأة في الامتثال للذكر، وفي الاهتمام فقط بحاجاتها النسوية، لا يمر دون أن تتعرض لظلم الذكر وعدوانيته؛ حيث يعاملها بقسوة، هذه القسوة التي تجلها الثقافة الاجتماعية، فتتعرض للعنف الصحي، حيث تهمل إن مرضت، وتُحرم من حقها في التعليم العالي، وقد تُحرم من الإرث، وقد تتعرض للعنف الجسدي واللفظي والاغتصاب، وتتعرض للعنف الزوجي في شكل ضربها، ومواقعتها دون رضاها، أو مواقعتها وهي مريضة، أو مواقعتها بخلاف الطبيعة، أو بحرمانها من حقها في الأمومة، أو بممارسة حقها الشرعي بطريقة آلية خالية من المشاعر، أو بحرمانها من العمل، أو أخذ مرتبها، أو حرمانها من الترفيه، وزيارة أهلها وأقاربها، أو بنعتها بألفاظ نابية، أو تجاهلها، أو شتمها في حضور الآخرين، أو ضربها، وتشويه جسدها، أو بالتشهير بها، وشتم ذويها، وتذكيرها بعيوبها.

تصور وسائل الإعلام المرأة على أنها مجرد إنسان باحث عن اللذة وأنها جسد يشتهي ويطمع، كما تعرض مفاتنها بشكل يدفع الذكر دوماً للتحرش بها أينما حلت، ففُرغت من محتواها الفكري والعقلي، وصارت بمثابة سلعة تباع، وتستغل في الإعلانات النسائية، وفي أغاني الفيديو كليب، ما فتَّح الذكر على مفاتن المرأة، ودفعه للتفكير دوماً في قضاء وطره منها. كما أدى هذا التصوير الإعلامي السيئ للمرأة إلى شك الذكر في إخلاصها ووفائها؛ فهي الغاوية والزانية والكاذبة والمتملقة، والباحثة عن الملذات، والعاطفية، فأمعن في اضطهادها وتجاهلها وحرمانها، وضربها وحرمانها من حقوقها. تربى المرأة منذ الصغر على أنها عالة على ذويها، ولذا يجب التخلص منها بالزواج، وبالفعل قد تزوج للأكبر منها، كما أنه لا يتم الدفاع عنها عندما تتعرض لعنف زوجها، أو عنف ذويه، ما أسهم في تعرضها للعنف الاجتماعي بكافة صوره. أضف إلى ذلك أن القوانين وضُعت ولتُطبق لصالح الرجل على حساب المرأة، فالمرأة هي دوماً المذنبة في نظر المجتمع والقانون.

قائمة المراجع:

1. أبو زيد، رشدي شحاتة (2008). العنف ضد المرأة وكيفية مواجهته، الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.
2. أميمن، عثمان علي (2007). المرجع في علم النفس الاجتماعي، الخمس: دار الخمس للطباعة
3. بحري، منى يونس ونازك عبد الحليم قطيشات (2011).العنف الأسري، عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.
4. بركو، مزوز (2009).إجرام المرأة في المجتمع: العوامل والآثار، القاهرة: المكتبة العصرية للنشر والتوزيع.
5. التير، مصطفي عمر (1997). العنف العائلي، الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية.
6. الجوهري، عايدة (2007). رمزية الحجاب: مفاهيم ودلالات، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
7. الجوهري، محمد وآخرون (1995). المشكلات الاجتماعية، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
8. حجازي، مصطفي (1989). التخلف الاجتماعي-سيكولوجية الإنسان المقهور-الدراسات الإنسانية، ط (5)، بيروت: معهد الإنماء العربي.
9. حسن، هبة محمد علي.(2003)، الإساءة إلى المرأة، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
10. الحسن، إحسان محمد (2008).علم اجتماع العنف والإرهاب: دراسة تحليلية في الإرهاب والعنف السياسي والاجتماعي، عمان: دار وائل للنشر.
11. الخولي، محمود سعيد (2008).العنف المدرسي: الأسباب وسبل المواجهة، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
12. رزق الله ، رالف (1980).إشكالية العدوانية في علم النفس – مقدمة لدراسة ظاهرة العنف، مجلة الفكر العربي تصدر عن معهد الإنماء العربي، العددان (17، 18)، لشهري: سبتمبر وديسمبر، السنة الثانية.
13. رمزي، ناهد (2000). المرأة والإعلام في عالم متغير، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.
14. شكور، جليل وديع (1997).العنف والجريمة، بيروت: الدار العربية للعلوم.
15. شكور، جليل وديع (1998). الطفولة المنحرفة، بيروت: الدار العربية للعلوم.
16. عبد الحميد، آمال وآخرون (2000)، الانحراف والضبط الاجتماعي، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
17. العواودة، أمل سالم (2002).العنف ضد الزوجة في المجتمع الأردني، دراسة اجتماعية لعينة من الأسر في محافظة عمان، أربد: مكتبة الفجر.
18. العيسوي، عبد الرحمن (1984).سيكولوجية الجنوح، بيروت: دار النهضة العربية.

19. القاطرجي، نهى (2006).المرأة في منظومة الأمم المتحدة: رؤية إســـلاميـة، بيروت: مجد المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
20. لطفي، طلعت إبراهيم (2009)، دراسات في علم الاجتماع الجنائي، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
21. المجدوب، أحمد على (1996).اغتصــاب الإناث في المجتمعات القديمة والمعاصـرة، ط (3)، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.
22. المركز، مغلية فرج، ظاهرة العنف ضد المرأة المتزوجة: دراسة امبيريقية لبعض العوامل الذاتية والاجتماعية والاقتصـادية المؤدية لها بمنطقة الخمس(رسـالة ماجسـتير غير منشـورة)، جامعة المرقب: كلية الآداب والعلوم، 2012.
23. المصري، إيهاب عيسى، وطارق عبدالرؤوف محمد (2014).العنف المدرسي: مفهومه، أسبابه، علاجه، القاهرة: مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع.
24. مكي، رجاء، سامي عجم (2008).إشكالية العنف: العنف المشرع والعنف المدان، بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

25) Colman. Andrew. M, (2002) Oxford: Dictionary of Psychology; New York: Oxford University Press Inc.

26) Goldstein. Jeffery. H, Social Psychology, Academic Press, Inc. III, Fifth Avenue: New York.,10003, 1980.